المجلة التاريخية الجزائرية | المجلد3،العدد01،جوان2019.العدد التسلسلي:11.ص176–184
Issn:2572-0023 | Volume 3, N 01, June 2019 . S/ N 11.p176-184

تضامن الحضنة مع مقاومة الزيبان بين 1849–1860م

The solidarity of the Hodna with the resistance of Zayban between 1849-1860

د/ عباس كحول* Dr. abbes Kahoul
جامعة باجي مختار بعنابة - University Badji Mokhtar of Annaba
kahoulabbes @ gmail. Com

معلومات المقال/History of the article		
الإرسال/Received	المراجعة/Accepted	القبول للنشر/Published
2019/01/14	2019/02/25	2019/06/30

ملخص:

لقد كان احتلال بسكرة من طرف الدوق "دومال" في 1844 إيذانا ببداية تنفيذ مشروع التوسع الاستعماري في الزيبان والاوراس والحضنة والأطلس الصحراوي وكامل الجنوب الصحراوي تحقيقا لمخططات توسعية سابقة بأبعادها المختلفة، فتداخلت الإجراءات والقرارات الإدارية الاستعمارية لفرض الهيمنة على المنطقتين منها: قرار 23-05-1844 بتعيين الرائد "طوماس" على بسكرة وإعلان "ابن قانة" شيخا للعرب، الذي تمتد سلطته على أحد عشر قبيلة باعتماد قيادات منها: قيادة "سي مقران بأولاد سي مقران وأولاد سي محمد بلحاج بالحضنة وأولاد دراج وأولاد زيان وبني سويك وبني فرح وأولاد سحنون والقنطرة والبرانيس والصحاري ومدوكال وأولاد عبدي وسيدي خليل والدروع"، وتجدد الموقف بقرار إلحاق الحضنة بإدارة بسكرة في 1845، وأوكل كذلك الضباط "ديفو" للقائد "بوضياف" مهمة بسط النفوذ الفرنسي وتاديب القبائل الثائرة وتحطيم العائلات العريقة وتوزيع المهام على القياد والشيوخ المتعاونين في 1859. ونسجل لمنطقة الحضنة تضامنها مع مقاومة الزيبان، فقد تزامنت مقاومة الزيبان بعد احتلال بسكرة بمقاومة أولاد دراج بالحضنة وأولاد فرج ببوسعادة 1848، إلى جانب سرايا المدد لنصرة مقاومة الشيخ بوزيان 1849 بالزعاطشة من المسيلة وبوسعادة وأولاد نايل، على رأسهم "محمد بن شبيرة"، فتعرضت بوسعادة للعقاب الاستعماري رغم بسالة المقاومة، وتجدد موقف التضامن بين

* المؤلف المرسل: د/ عباس كحول: الإيميل: kahoulabbes @ gmail. com

المنطقتين خلال مقاومة الصادق بن الحاج 1859 -1858 بأحمر خدو والزاب الشرقي، حيث أعلن أولاد عمر مقاومة 1860 يقودهم محمد بوخناش وصل تأثيرها إلى الزاب الشرقي.

الكلمات المفتاحية: الحضنة، الزيبان، الزعاطشة، المقاومة، التضامن.

Summary:

mal in 1844 marked the beginning of the implementation of the colonial expansion project in Zayban, El Auras, Hodna, the Saharan Atlas and the whole of the Saharan south in order to achieve previous expansion plans of various dimensions. 1844 The appointment of Major "Thomas" to Biskra and the declaration of "Ibn Qana" Sheikh of the Arabs, whose authority extends to eleven tribes by the adoption of leaders including: the leadership of "Si Mqran children Sidi Mokran And righteousness Anis, Sahari, Medoukal, Ould Abdi, Sidi Khalil, and Shields, renewed the position with the decision to append the brood to the administration of Biskra in 1845. The officers also gave Devo the command of Boudiaf to extend French influence, discipline the rebellious tribes, destroy ancient families and distribute tasks to the cooperative leaders and elders in 1859. Al-Hugwah region is in solidarity with the resistance of the Zayban. Just around the colonial despite the bravery of the resistance, and a renewed attitude of solidarity between the two regions during the resistance bin Sadiq al-Haj 1859 - 1858 with red eastern Khaddo Zab, where he announced the children of the age of resistance, led by Mohamed 1860 Bokhanah reached its influence to the east Zab.

key words: Hodna, zaâtcha, resistance, Solidarity.

مقدمة:

إن التداخل الجغرافي والبشرى بين الزاب والحضنة، ساهم في بروز الترابط التاريخي بينهما قبل الاحتلال وأثناءه، فقبل دخول واحتلال القوات الفرنسية للحضنة 1840 والمسيلة 1841، كانت سلطة خلفاء الأمير عبد القادر" فرحات بن السعيد ثم الحسن بن عزوز" تمتد إلى الزاب والحضنة في 1837، وحتى بعد تعيين شيخ العرب "ابن قانة" 1838 وإعلان ولائه لإدارة فرنسا، فتداخلت من جهة اخرى القيادات الفرعية بين الزاب الحضنة الشرقية على وجه الخصوص.

فبعد فشل الخليفة "ابن عزوز" في رد الاحتلال الفرنسي عن الحضنة والمسيلة في 1841، أعطيت إشارة المقاومات المحلية، كمقاومة "المطاريح" 1849، والشيخ "ابن شبيرة" بالحضنة

وبوسعادة 1849، بعد اتصالات من الشيخ "بوزيان" بطل مقاومة الزعاطشة 1848-1849م، حيث تعد منطقتي المسيلة بوسعادة بعدا استراتيجيا وقاعدة خلفية للمقاومة الوطنية، بقطع الإمدادات وضرب القواعد الخلفية للجيش الفرنسي، هذا الأخير الذي يعتبرها قاعدة رئيسية يجب إخضاعها لفرض الهيمنة وتحقيق التوسع الاستعماري.

وتجدد الموقف خلال مقاومة "الصادق بن الحاج" 1858-1859م بالزاب الشرقي وأحمر خدو وحواف الأوراس، من خلال اتصالات سابقة من "إبراهيم بن الصادق بن الحاج" بأعيان المنطقة ضمن إستراتيجية الطريقة الصوفية الرحمانية وزواياها في الانتشار والاتصال كالشيخ "الحفناوي بن عبد الحفيظ" من الجريد و"الصالح بن محمد بن بلقاسم" من القرقور، وحتى "مصطفى بن عزوز" بنفطة الذي وصل إلى المنطقة في 1851م(نفس سنة وفاة ابن شبيرة بالجريد)،والمتهم من طرف فرنسا بإثارة المقاومة التي أعلنها لاحقا الشيخ بوخنتاش في 1860، رغم التأويلات الأسطورية التي أثارتها الكتابات الفرنسية حول شخصية المقاوم، إلا أن فرنسا أوكلت إلى الجنرال "ديفو desveaux " القضاء على المقاومة وقمعها كما فعل مع "الصادق بن الحاج"، وهو ما يجعلنا نطرح الإشكال الرئيسي الآتي: كيف تضامنت منطقة الحضنة مع مقاومة الزيبان للاحتلال، وما مظاهره وما نتائجه؟

أ- تضامن منطقة الحضنة مع مقاومة الزيبان للاحتلال 1848م-1849م

1- معركة "المطارح" 1849م

كانت هذه المعركة تمهيدا لمعارك ومقاومات أخرى لاحقة بالمنطقة وغيرها، فسرعان ما انتقل لهيبها إلى أولاد نايل والأوراس هذه الأحداث لا يمكن عزلها عما يجري بالزيبان، رغم محاولات الفرنسيين الحط من بعدها الوطني وإلصاق صفة الدروشة بها [1]. فالمعركة امتداد لمقاومة الزعاطشة وتضامنا مع الزيبان واستجابة لنداء الجهاد من الشيخ "بوزيان" ورفضا لجرائم الاحتلال بالمنطقة ودفعا بالاحتلال إلى خارج الوطن [2]. فبعد تمرد "أولاد سحنون" بالحضنة الشرقية 1849 بمهاجمة طرق الحضنة الغربية وقوافلها الفرنسية، وقعت معركة المطاريح بقرية "العليق" [3] في ربيع

1849م، ووصلت إلى محيط بوسعادة وعين الريش ولمليلحة "أولاد سعد والسويقات وأولاد بلقاسم وعين الملح وعين أغراب وأولاد جابر وأولاد مردف".

أما رد فعل الاحتلال، فتمثل في تجهيز قوة عسكرية يقودها "لادوميرولت" في ماي 1849 من المشاة والخيالة وفرق القوم التابعة "للمقراني" و"يحي بن عيسى"، التي طاردت الثوار في عين الريش وعين الملح وعين أغراب، وقمعت الأعراش الموالية للثوار "كأولاد محمد لمبارك وأولاد محمد لمبارك وأولاد سعد والسويقات" في جوان 1849م، لكن الثورة ازدادت انتشارا بالتحاق قبائل "أولاد مردف" الذين تحصنوا بالمطاريح حيث دارت المعركة، التي قتل فيها الضابط" قابريون"، رغم خضوع أعراش" أولاد فرج "وتحول بوسعادة إلى مكتب عربي، جراء آلة القهر والدمار، إلا أن جذوة المقاومة استلمها" أولاد سعد" و"الشريف محمد بن شبيرة" [4].

2– مقاومة "الشريف محمد بن شبيرة" بجنوب الحضنة وبوسعادة 1849

عانت منطقتي الحضنة وبوسعادة 1849 من ويلات الاحتلال على غرار الزيبان، فبعد عودة "الشريف محمد بن شبيرة" [5]، من مكة واتصاله بزعماء المقاومة والجهاد: كالشيخ "بوزيان" بالزيبان والشيخ "حامد بن عمر" بورقلة، وهما من أنصار الأمير عبد القادر، سارع الاحتلال إلى الاستنجاد بفرق من سطيف وقوم "المقراني" والقوات المجاورة لمواجهته. وتمثلت عمليات التحضير للمقاومة، في الاجتماعات التي عقدها والمراسلات التي تم تبادلها، خاصة من الشيخ "بوزيان"، توجت بإعلان إمداد ثورة الزعاطشة بالمدد (السلاح، الرجال، المؤونة) وقطع طريق العدو إليها، بعد لقاء شرفة الهامل أوت 1849 [6]. أما الانطلاقة الحقيقة الفعلية لثورة "ابن شبيرة"، كانت في 19 أكتوبر 1849 [7]، بعد اجتماع ومبايعة أهالي المنطقة بالجهاد، فتضافرت جهود وأسباب المقاومة منها:

– أحداث الزعاطشة بالزيبان وانتشار أخبارها ووصول رسائل ونداءات الشيخ "بوزيان" إلى الحضنة وأولاد نايل بالمدد وقطع طريق العدو.

– أحداث معركة المطاريح وانقلاب الاحتلال على المنطقة وأهلها في جبل "مساعد" تحت قيادة الضابط "لادوميرولت".

– شخصية الشيخ "محمد بن شبيرة" العلمية والمجاهدة وتأثيره في أهالي المنطقة وإجماعهم على قيادته، فتحرك الاحتلال من خلال معاونيه والمكتب العربي لمراقبته والضغط عليه.

– التكوين الاجتماعي والثقافي للشخصية المقاومة وأعراش المنطقة، والبعد الروحي لتأثير الدين من خلال الطرق الصوفية والزوايا، خاصة الرحمانية منها.

– انتشار أخبار تحول بوسعادة إلى مركز عسكري بالقهر للقوات الفرنسية.

– تفاقم تردي الأوضاع في عروض "أولاد عدي" شمال الحضنة الغربية و"أولاد فرج" نتيجة تمادي القياد في التسلط [8].

– البعد الوطني برفض المحتمل بالمنطقة وكل ربوع الوطن واستهجان سياسته الهمجية التي استهدفت البلاد والعباد والمقومات، والمساهمة في مجهود استرجاع السيادة بدء بالتضامن مع مقاومة الشيخ "بوزيان" بالزعاطشة. حيث ساهمت أخبار انتصار الزعاطشة في حماسة مجاهدي الحضنة بوسعادة، فانضم عرش "أولاد جابر وأولاد مردف وأولاد عمر أولا فرج أولاد فكرون وأولاد بولفعة وأولاد بقيرة وأولاد النايلي من أولاد خالد والحوامد وأولاد سيدي إبراهيم والشرفة" إلى إعلان الثورة في 19 أكتوبر 1849م بالهجوم على معسكر قوات الاحتلال بمنطقة "الموامين" [9]، الذين تلقوا ضربة قوية، فسارعت قوات القوم بأمر من النقيب "بان pein " بتجهيز حملة عسكرية لقمع الثورة [10]. وتمكن "بان pein "من اقتحام بوسعادة مدعما بقوات القوم (ابن القمري، المقراني) وضباط آخرين أمثال "بوبريترل beaupretel"، " صورات saurret"، [11] رغم بسالة المقاومة.

وخوفا من اتساع دائرة المقاومة بين الزيبان والحضنة عمد الاحتلال إلى قمعها بقوة العدد والعتاد، فتدفقت القيادات وقوات الاحتلال على بوسعادة منها: حملة "كانروبير canrobert "بـ 1500 فارس، وحملة "دوماس daumas "بـ: 1400 فارس، التي اجتمعت على بوسعادة في 13 أكتوبر 1849م، فتعرضت بوسعادة للقصف وإعمال القتل في أهلها، فتضعضعت وحدة الأعراش. إلا أن الثوار واصلوا الجهاد وتحصنوا بجبل "مساعد" حتى استسلامهم في 30 نوفمبر 1849تحت القهر، وفرضت الضريبة الحربية على بوسعادة بـ 8000

فرنك وأعلن فيها المكتب العربي، تزامنا مع إبادة واحة الزعاطشة وإعدام شيوخها وقادتها وقطع رؤوسهم [12].

ب– تضامن منطقة الحضنة مع مقاومة الزيبان للاحتلال 1858–1860م

– مقاومة أولاد عمر بزعامة الشيخ "محمد بوخنتاش" 1860.

رغم وطأة الاحتلال بالحضنة بعد الإعلان بوسعادة منطقة عسكرية، إلا أن روح المقاومة استمرت في عرش "أولاد عدى والمطارفة والمسيلة" خلال ماي 1851 بعد انتشار أخبار وصول الحاج "مصطفى بن عزوز" من الجريد التونسي (نفس سنة وفاة ابن شبيرة). وفي هذه الظروف تظهر شخصية الشيخ "محمد بوخنتاش" [13] الذي قاد مقاومة "أولاد عمر"، تزامنا مع مقاومة "الصادق بن الحاج" 1858–1859م بالزاب الشرقي وأحمر خدو والأوراس [14]، حيث كانت النداءات والرسل والمراسلات تصل تباعا من "إبراهيم بن الصادق بن الحاج" إلى عروش وشيوخ الحضنة، تدعوهم إلى الجهاد، فتحركت عروش" أولاد دراج وأولاد سحنون وفرقة أولاد منضور" بالحضنة والمسيلة منذ مارس 1860. ورغم تعدد أسباب المقاومة، إلا أنها تلتقي في البعد الوطني ورفض الاحتلال، واستجابة لنداء الطرق الصوفية والزوايا والشيوخ والاعراش لنداء الجهاد والنصرة، ومن أسباب هذه المقاومة:

– تصرفات القايد "سي المختار بن دايخة" قايد الحضنة اتجاه المرابطين والأعراش الموالية "لأحمد باي": "كأولاد علي بن صابر وأولاد دراج" بتضييق الخناق عليهم.

– تمرد "أولاد دراج" باستمرار ورفض الهيمنة الإدارية الاستعمارية.

– الامتيازات التي تحصل عليها القياد في الأراضي والسواقي والسدود على حساب الأهالي.

– التضامن مع مقاومة الزاب الشرقي وأحمر خدو والاوراس التي اندلعت بين 1858–1859م.

– دور الطرق الصوفية والزوايا في دعوة الاعراش إلى رفض المحتل الكافر، رغم وجود الطريقة التيجانية "بأولاد دراج"، إلا أن الرحمانية المقاومة انتشرت بقوة بالمنطقة بعد أحداث القبائل 1858، منهم الشيخ "الحفناوي بن عبد الحفيظ" الذي انتقل من الجريد إلى الحضنة، والشيخ

"الصالح بن محمد بن بلقاسم" من القرقور، وحتى الشيخ "مصطفى بن عزوز "قادما من الجريد [15].

– فخلال شهر مارس كانت أعراش "أولاد دراج وأولاد عمر وأولاد نجاع والبراكتية وأولاد منصور وأولاد سحنون" تعلن الجهاد وراء الشيخ "الشريف محمد بوخنتاش" ومن وراء 1800 بندقية مقاوم بالمنطقة، بل وصل تأثيرها إلى الزاب الشرقي [16]، فتحركت قوات الاحتلال لقمعها تحت قيادة الكولونيل "ديسمارى desmaret" والضابط "بان pein" من قسنطينة وباتنة وسطيف، إضافة إلى قوات القوم والزواف" zouaves" ومشاة الجيش الأفريقي والرماة.

وبعد فشل المفاوضات والإغراءات والتهديد (الوعد والوعيد)، تقدمت حملة الجنرال" دبفو desveaux"، وكانت أولى المواجهات في 23 مارس 1860 والثانية في 25 مارس 1860، ورغم بسالة المقاومين إلا أن فارق العدة والعدد والتنظيم الحربي ساهم في هزيمة مقاومة "بوخنتاش"، فانقلب الاحتلال على عرش "أولاد عمر" وإعلان المكتب العربي ببريكة ومصادرة الأراضي وفرض الضرائب وإطلاق العنان للقياد في قمع الأهالي والعائلات العريقة وتضييق الخناق على الشيوخ والطرق الصوفية والزوايا، وقد خلدها الشعراء لبسالتها وبشاعة قمعها [17].

الخاتمة:

بعد تناول موضوع تضامن منطقة الحضنة مع مقاومة الزيبان من خلال دعم مقاومة "ابن شبيرة" 1849 لمقاومة الزعاطشة 1848-1849م، كذلك دعم مقاومة "بوخنتاش" 1860 لمقاومة الزاب الشرقي وأحمد خدو والأوراس 1858-1859م، يمكن التوصل إلى جملة من النتائج منها:

– التداخل الجغرافي والبشرى بين الزيبان والحضنة ساهم في ترابطهما التاريخي.

– إن التضامن السالف الذكر هو من أشكال ومظاهر تضافر وتوحيد جهود المقاومة ضد المحتل في إطار تبلور فكرة الوحدة الوطنية.

– الطرق الصوفية والزوايا والشيوخ كانت المحرك الأساسي لهذه المقاومات وخاصة الرحمانية منها.

– انضمام والتحاق الأعراش بالمقاومات يرتبط بالتكوين الاجتماعي والثقافي (الطبيعة القبلية والتأثير الديني).

– الضرر الفادح الذي ألحقه القياد ومشيخة العرب والمرتبطين بالمكاتب العربية والإدارة الاستعمارية بالمقاومة، وتقلبهم بين المقاومة وفرنسا.

– صراع القيادات السياسية وعدم قدرتها على تجاوز خلافاتها ومصالحها الشخصية نحو توحيد جهود المقاومة (الأمير عبد القادر، الحاج أحمد باي).

– تباين نداءات الجهاد والمقاومة بين دعم ثورة معينة في إطارها المكاني والزماني، وبين توسيع دائرة الجهاد الوطني ضد المحتل (فكرة الوحدة الوطنية في طور النضج).

– ضعف التنظيم والتحضير الجيدين وعدم الأخذ بأسباب الحرب الحديثة وفارق العدد والعدد، لم يجد نفعا أما الشجاعة والتضحية وبسالة المقاومة.

– رفض الاحتلال رغم وحشيته في قمع الثورات وتحطيم العائلات العريقة وتضييق الخناق على الطرق الصوفية (المكاتب– القياد)، وإغراء الأخرى ومكافئة المتعاونين وتعليق النياشين للضباط المجرمين.

– التضامن بين الحضنة والزيبان آخر المشاريع الاستعمارية وعطلها لمدة معينة، لكنه لم يمنعها، لأن التضامن بقي ضيقا ومحصورا ولم ينضج إلى درجة الوحدة الوطنية الكاملة الشاملة الواضحة.

– القمع والوحشية الاستعمارية لا تمنح فرنسا أي شرف، ولم تقض على روح المقاومة التي استمرت في الشعب الجزائري.

الهوامش:

1- H.de grammant, bataille de Metarik, RA, 1855 : pp 162.

2- كمال بيرم، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية، فترة الاحتلال الفرنسي (1840-1954)، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة،2010-2011،ص31.

3- تقع قرية العليق على بعد 07 كم من المقر، كثيرة الأحراش، بها جبال فرنينة والزرقاء وبولمعة.

4- كمال بيرم، المرجع السابق، ص 32.

5- الشيخ الشريف محمد بن شبيرة، ينتمي إلى عائلة علم وجهاد من عرش أولاد سيدي سليمان، تنحدر أصوله من الأدارسة الأشراف، حفظ القرآن، ويعد من وجهاء بوسعادة ومنطقة وادي العليق، ولد أواخر القرن الثامن عشر ميلادي،

هاجر إلى الجريد، توفي 1851.

6- Al Moubacher, 15-10-1849, N°51, P54.

7- Le General Herbillon, Relation au siège zaâtcha, Librairie Militaire, Paris, 1863, p29-35.

8- كمال بيرم، المرجع السابق، ص 34.

9- معسكر المواجين يقع قرب مسجد جامع سيدي عطية بمدينة بوسعادة.

10- بلغ تعداد جنود هذه الحملة 112 جندي من برج بوعريريج إلى المسيلة، في خطوة عسكرية أولية قبل تفاقم الأوضاع.

11- بلغت قوات المدد الاستعماري 400 فارس.

12- عباس كحول، دور الزواية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859م (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة الجزائر2، 2010-2011م، ص 40.

13- عرف الشيخ المقاوم بـ بوخنتاش البركاني،كنيته الشريف، قاد مقاومة أولاد عمر الوطنية، رغم محاولات الكتابات الفرنسية (Rinn,Feraud) أضفاء الطابع الأسطوري والخرافي لتفريغها من محتواها، وقد تناول العدد الخاص لمجلة لأصالة الموضوع أيضا.

14- عباس كحول، المرجع السابق، ص 142.

15- كمال بيرم، المرجع السابق، ص 36، 37.

16- مصطفى حداد "إنتفاضة البازيد من واحة العامري والمناطق المجاورة سنة 1876" مجلة الثقافة، ع 81، السنة الرابعة عشر، الجزائر (ماس، جويلية 1984) ص 211 ينظر: بوعزة بوضرساية وآخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال ق 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة التحرير، 2007، وكذلك محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1972)، ص 83.

17- كمال بيرم المرجع السابق 43.ينظر: يحي بوعزيز،ثورات الجزائر في القرنين 19، 20م، ج2،(ط2، منشورات المتحف الوطني، الجزائر)،ص ص 135-140.كذلك:

Charles Féraud, le Sahara de Constantine, (Alger, 1887) p420-443.

ومن الأبيات الشعرية نقتطف البيتين:

يا رعي الملجوم ريض أمهل لي وعودك من الأبعاد جاء عرقه يقطر

تعلمني ما صار في الحضنة فيما بين النصارى وأولاد عمر